



معلومات البحث

الاستلام: 2011/7/18
القبول: 2011/9/15
النشر: 2011/10/15

أساليب الاستشراق وغاياته من دراسة الفكر الإسلامي من وجهة نظر محمد البهي ومحمد ياسين عريبي

يوسف موسى علي عبدالله، محمد ناصر بن عمر،
إدريس بن زكريا، عبد الرحمن بن محمود
yma1969@yahoo.com

ملخص البحث

أتبع الغرب أساليب وغايات عديدة لتدمير العالم الإسلامي ولفرض ثقافته على الواقع العربي الإسلامي ، سواء أن كان ذلك قسراً عن طريق الاستعمار المباشر، أو الاستشراق ،أو من خلال النخبة الوطنية التي تعلمت في الغرب واستلهمت نموذجه، وعادت حاملة الولاء له؛ تحارب الإسلام وتطعن في أصالة فكره. بناء عليه فأن مشكلة البحث تكمن في التنبيه إلى أن المنهج العدواني المصاحب للمدارس الاستشراقية، التي وضعت نفسها ضمن مشروع حضاري شمولي؛ إنما يأتي في إطار المركزية الأوروبية التي تقوم على مبدأ أهلية وأحقية الإنسان الأوروبي وحده في التمدن والتقدم ، ونفي هذه القابلية عن غيره ؛ حيث تكمن أهمية البحث في تنمي المعرفة بالاستشراق وخطورته على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي.أما الهدف فيكمن تجلية مواطن الخطأ والتزوير والتدليس التي وقع فيها مفكري الاستشراق خطأً أو عمداً سببت في تشويه أسس ومبادئ الفكر الإسلامي من خلال إتباعهم مناهج تسئ للفكر الإسلامي.وهي: منهج الأخذ بالنزعة التأثيرية، القول بالانشطارية، تغريب الفكر الإسلامي. وللوصول لهذا الهدف أستخدم المنهج الوصفي التاريخي، ومنهج التحليلي والمقارن. فكانت أهم نتائج البحث، أن الغرب يستعمل كل أسلحته لهدم الإسلام، ويباشر سلطته من أجل إفساد المفاهيم الإسلامية والتراث الإسلامي، ووسيلته في هذا الإفساد تتمثل في المفارقة بين تقدم الأمة المسيحية وتأخر المسلمون.

المقدمة

إن الواقع الفكريّ والعقائديّ للأمة الإسلامية يؤكد أنها في حاجة ماسة لحركة إحياء شاملة، وتصحيح لما فسد من عقائد وتقويم ما اعوج من سلوكها، ولابد لهذه الأمة وهي في طريقها للتغيير من مواجهة مؤامرة الاحتواء التي تمارسها الأنظمة العلمانية بطرق التمييع والالتواء وعبر لغة الحوار والملائمة التي يتم عن طريقها تحويل الإسلام الواحد إلى دويلات متعددة متفرقة متناحرة، ومزجه بالأفكار التغريبية من علمانية وماركسية، لاحتواء أبنائها والسيطرة على عقولهم من خلال الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والقول بتأثر الثقافة الإسلامية بالعقلية الإغريقية والفارسية وهم في سبيل ذلك يعملون على انتزاع نصوص معينة من سياق المصادر لتأييد وجهة نظرهم في اقناع غيرهم بإثارة التناقضات بين النصوص التي يقتبسونها.

فقد أثار الاستشراق دعوات مسمومة للتشكيك في الإسلام والطعن في مبادئه وتشويه حضارته والتقليل من شأن الشعوب الإسلامية و وصفهم بأنهم أقل قدرة من الجنس الأبيض الأوربي في مجال السياسة والمدنـية والعلم والفن. وبينما يحدث كل هذا فقد " أثبت لنا تاريخ صراع الأفكار والمذاهب في القرن الأخير في المجتمعات الإسلامية أن الأمة الإسلامية رفضت محاولات إسقاطها النهائي أمام الأمم الأخرى وحضاراتها، وأنها لا تزال تحتفظ بجوانب من القوة في مقوّماتها الإسلامية وخصائصها الذاتية المستقلة، علي الرغم من غزو الحضارة الغربية لقيمها وحياتها وسلوك أفرادها "[1]

فالأمة الإسلامية لا تزال ترى أن الإسلام هو المنهج الذي يمثل خصائصها ويحدد هويتها، ويرسم الطريق الأمثل إلى أهدافها الحضارية، فإذا ما تتبعنا تاريخ الحروب الصليبية على بلاد الإسلام نجد أن أول حملة غربية كان لها خطرها وأثرها الحضاري على العالم الإسلامي تبدأ بحملة نابليون بونابرت على مصر عام 1797م حتى عام 1801م ، وذلك لما لهذه الحملة من أثر كبير في تكوين عقليات بعض المسلمين، الذين أصيبوا بالانبهار والإعجاب بمظاهر ما يسمى بالمدنـية والتقدم العلمي، الذي وصل إليه الغرب وفرنسا بالذات.

فقد جهز نابليون حملته بفريق من العلماء والباحثين في سائر التخصصات العلمية، منها مجموعة من المستشرقين المتخصصين بالدراسات الشرقية والإسلامية، وقد ركز المحتلون الغربيون، أثناء إقامتهم في العالم الإسلامي، على تشجيع التبشير، وتربية جيل من أبناء المسلمين على الفكر والسلوك الغربي وعزله عن عقيدته وتاريخه وأمته، ثم اصطفاء نخبة من هؤلاء ليصنعهم الغرب على عينه، وبعد أن أفلح في اختيار عملائه وصنائعه من النخبة الوطنية التي أشربت في قلوبها ثقافة الغربي، وتربت على يديه، ونشأت في كنفه ورعايته ولاهم مقاليد البلاد بعد خروجه منها

---

[1] عبد الحميد. محسن ،*المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري* ، ص 41 .

لعرض أفكاره ونظرياته وفلسفاته الغربية الهدامة كالشيوعية، والوجودية، والقومية، والوطنية، والإباحية، وإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية.

ولقد تبين من الدراسات الواعية المتعددة مدى خطر الاستشراق في طرح أفكاره ونظرياته وفلسفاته داخل العالم الإسلامي ولا ريب أن الاستشراق يعمل على إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام بدأها بترجمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والهدف هو إحكام الرد على ما في هذه من قضايا معارضة للمسيحية من ناحية أو معارضة للنفوذ الأجنبي من ناحية أخرى.

فالمستشرقون يدرسون قضايا الإسلام – لغته وتاريخه وشريعته وتراثه – بروح غير علمية، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية، وهم لا يتصورون أي شيء إلا في حدود مفاهيمهم المسيحية وعقليتهم الغربية التي تعودت على ربط الظواهر الإنسانية بالجنس واللغة القومية والبيئة في حدود المفهوم المادي القائم على المحسوس.ومن هنا كان الإنسان عندهم ظاهرة قومية نشأت عن ظروف اقتصادية ومن شأن هذا التصور أن يجعل كل أحكامهم على تاريخ الإسلام وشريعته وقيمه خاطئة ومنحرفة لأن الإسلام يقوم على تصور جامع بين الروح والمادة والعقل.

وقد آن الأوان لدراسة الغرب دراسة جادة من خلال ما يتوفر من مصادر معرفية عنهم وذلك بعرض الدراسات الجادة التي صدرت من علماء مسلمين أفاضل مثل دراسات الدكتور محمد البهي[1] والدكتور محمد ياسين عريبي[2] رحمهما الله وليست تلك الدراسات التي انتهت منذ خمسين سنة أو زيادة؛ أي العودة إلى ما قال، جولدزيهر

---

[1] الدكتور محمد البهي هو وزير الأوقاف المصري الأسبق أحد مفكري الإسلام في العصر الحديث وتحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هامبورج بألمانيا. ولد محمد البهي بقرية "أسمانية" التابعة لمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر يوم 2 من جمادى الآخرة 1323هـ/3 من أغسطس 1905م وافته المنية في 10 من سبتمبر 1982م عن عمر يناهز سبعة وسبعين عاماً. البهي هو واحد من مفكري الإسلام في العصر الحديث دعا إلى الإصلاح الديني بالعودة للأصول، وتتبع نشأة الفكر الإسلامي منذ بدايته إلى الوقت المعاصر، مقارناً بينه وبين غيره من المذاهب الفكرية، متصدياً للأفكار الهدامة وفاضحاً الاستعمار ودوره في المجتمعات الإسلامية. وقد ترك هذا العلاّمة ثروة غنية من المؤلفات التي أثرت الفكر الإسلامي والمكتبة الإسلامية، وكان أكثرها أهمية كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) الذي كان له الفضل في التعريف به كمفكر إسلامي في الأوساط العربية والإسلامية.

[2] الدكتور محمد ياسين عريبي مفكر وفيلسوف ليبي ولد في سنة 15\11\1939م في مدينة غريان بالجبل الغربي جنوب طرابلس/ليبيا، وهو أحد مفكري الإسلام في العصر الحديث .تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفلسفة من جامعة فريدريخ فلهم بمدين بون الألمانية. توفي رحمه الله في 3\11\1998 م بضاحية من ضواحي مدينة فرانك فورت بألمانيا (alHerrama 1998)وذلك أثناء حضوره للمؤتمر العلمي الذي تقيمه جمعية كانط كل سنة، ثم ووري جثمانه في مسقط رأسه بليبيا . وتعد مؤلفات محمد ياسين عريبي إبداعا وتجديداً وتأصيلاً لكثير من الموضوعات والمسائل الكبرى في الفكر الفلسفي على وجه العموم، وفي الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص . ففي كتابه (مواقف ومقاصد في الفكر الفلسفي الإسلامي المقارن) أبحاث ودراسات مفيدة حاول فيها صاحبها مقارنة كثير من النظريات الفلسفية لدى فلاسفة الغرب بآراء ونظريات فلاسفة العرب المسلمين .وأثبت من خلال تلك المقارنات أن كثيراً من الآراء الفلسفية التي نسبها الفلاسفة الغربيون لأنفسهم (مثل مسألة العلية أو السببية) التي نسبها الغرب إلى ديفيد هيومHume، و(مبدأ السبب الكافئ) الذي نسبوه إلى ليبنتز Leibniz و(الكوجيتو) الذي حددوه على إنه لديكارتDescartes هذه وكثير غيرها ما هي إلا محاولة منهم لإعادة تركيب الفكر الإسلامي ، أو قل إعادة صياغة لنظريات مفكري الإسلام بطريقة غربية.هذا ونجده يشير إلى أن كتاب (نقد العقل المحض)

Joldsehr ومرجليوث Mrgelyot وشاخت Schacht وهاملتون Hamilton وبرنارد لويس Bernard Lewis وغيرهم، وإن كنّا نحتاج إلى معرفة هؤلاء معرفة جيدة فإن أكثر ما يبثه القوم من أفكار هذه الأيام حول الإسلام والمسلمين لا تكاد تخرج عَمَ كتبه هؤلاء بل ما يهمنا اليوم هو المحاولات التي أقامها بعض علماؤنا لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة، فاضحين الاستشراق وأعوانه الذين يحاولون أن يخضعوا العالم لهيمنة الفكر الغربي عن طريق وسائل الإعلام التي يملكون وكالات أنبائها، وعن طريق الكتب والمجلات والدوريات والصحف التي يصدرونها وغيرها مما كان لها الأثر الكبير على أبناء امتنا الإسلامية.

المبحث الأول: الاستشراق:

حتى يكون النظر في تاريخ الاستشراق وأهدافه ووسائله وأساليبه وغاياته قائماً على تصور واضح يقتضي أن نستهل موضوع الدراسة بالتعرف على مفهوم كلمة الاستشراق من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة:

الاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية Orientalism مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق وكلمة" الاستشراق " كما وردت في القواميس[1]: مشتقة من مادة شرق يقال: شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة إشراق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء التي تعني طلب الشرق؛ أي طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة، فأصبح معنى الاستشراق البحث عن علوم الإسلام في بلاد المسلمين عقيدة وشريعة وتاريخاً ومجتمعاً وتراثاً.وهناك من لا يرى أن كلمة استشراق ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق- بمعنى الشروق والضياء والنور و الهداية – هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بعكس الغروب الذي يعنى الأفول والانتهاء، وقد رجع السيد محمد الشاهد إلى المعاجم اللغوية الأوروبية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) ليبحث في كلمة شرق ORIENT فوجد أنه يشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة "تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول

للفيلسوف الألماني كانط Kant 17241804 الذي أشيد به كثيراً وأعتبر محطة روحية لتطور الفكر الحديث والمعاصر، هذا الكتاب في صميمه مجرد محاولة لفهم كتاب (تهافت الفلاسفة) للفيلسوف العربي المسلم الغزالي.

[1] المعجم الوسيط ، 1990، جـ1 ، بالقاهرة : معجم اللغة العربية ، ص 492 .الرازي. أبو بكر ، مختار الصحاح ، ترتيب : محمود خاطر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 336.الجوهري. إسماعيل، الصحاح ، ط4 تحقيق احمد عبد الغفور العطار ، بيروت:دار العلم للملايين، 4 / 1501 .ابن منظور ، لسان العرب ، 4 /2244 . 2245.

من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة" [1] ومنهم من يقول: ليس القصد منه الشرق المكاني الجغرافي، وإنما هو الشرق المقترن بالشروق والنور والهداية، والإشراق من الشرق حيث نزلت الديانات الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام.

المطلب الثاني: تعريف الاستشراق في الاصطلاح:

إن مصطلح الاستشراق وما يتصل به من الكلمات المشابهة نحو مستشرق وغيرها، يعد من التسميات الحديثة وإن كان مدلولها غير حديث ويقرر إسحاق موسى الحسيني أن: لفظة استشراق ومشتقاتها مولده استعملها المحدثون من ترجمة كلمة ORIONTALISM ثم استعملوا من الاسم فعلا فقالوا استشرق وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي والمدققون يؤثرون استعمال: علماء المشرقيات، بدلا من مستشرقين، ويؤثرون استعمال: عرباني لدراسي اللغة العربية، مقابلة للفظة ARABIST ولكن لفظ استشرق ولفظ مستشرق هي الأكثر شيوعا.[2]

ومن الجدير ذكره أن أول استعمال لكلمة مستشرق في اللغات الأوربية يعود إلى عام 1630م عندما أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية وقد ظهرت كلمة مستشرق أول ما ظهرت في اللغة الإنكليزية نحو عام 1779 في حين لم تدخل كلمة الاستشراق معجم الأكاديمية الفرنسية Dictionnaire de l'Académie Française إلا عام 1838.[3]

وعلى الرغم من التحفظات الكثيرة التي يواجهها هذان المصطلحان المستشرق والاستشراق، فإنهما شائعان شيوعاً كبيراً عززه ظهور طائفة من الكتب في الاستشراق والمستشرقين أبرزها كتاب إدوارد سعيد الاستشراق عام 1978م والحقيقة أن هذه التحفظات لا تقتصر على استخدام المصطلحين بل تشمل دلالتهما أيضاً، وعلى حين يتوسع بعضهم في هذه الدلالة يضيقها بعضهم الآخر ويقصرها على حقل صغير من حقول المعاني التي يمكن أن تشتمل عليها هذه الدلالة.

المطلب الثالث : معنى مصطلح الاستشراق عند الغرب:

---

[1] الشاهد. السيد محمد،1994م، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين. مجلة في الاجتهاد (عدد 22) السنة السادسة ، شتاء عام ص191211.

[2] سما يلوفيتش .أحمد ،1998م، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر*،القاهرة:منشورات دار الفكر العربي، ص 30 الحسيني.إسحاق موسى ، *الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه* ،ج1. مطبعة الأزهر ، 1967م ، ص 25، 26.

[3] سما يلوفيتش ،1998م، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر* ، ص26.

لعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق ومع أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير، فهذا آربري Arberry في بحث له في هذا الموضوع يقول "والمدلول الأصلي لاصطلاح مستشرق، كان في سنة 1638 لأحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية" وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه استشراقي بأنه يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية "[1]

ويمكن أن نبدأ بتعريفات المستشرقين أنفسهم لهذا المصطلح فهم أصحابه، ومن هؤلاء الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه، المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون Maxime Rodinson الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى: "إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق" [2]

ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصص للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية.

أما رودي بارت Rudi Barth يرى أن الاستشراق هو " علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة 'شرق' وكلمة شرق تعني مشرق الشمس وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[3]

و المستشرق الإنجليزي آربري Arberr يعتمد تعريف قاموس أكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه "من تبحّر في لغات الشرق وآدابه"[4] ويعرف جويدي علم الشرق بأنه " علم من علوم الروح يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها "[5]

المطلب الرابع : معنى مصطلح الاستشراق عند العرب :

---

[1] سما يلوفيتش ،1998م، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر* ، ص23 آربري. ا. ج ، *المستشرقون البريطانيون، 1946*م،،تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن، ص8 .

[2] شاخت. جوزيف وكليفورد بوزورث، 1978م ، *في تراث الإسلام، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية* ، ترجمة محمد زهير السمهوري، الكويت :سلسلة عالم المعرفة ، ص27101.

[3] سما يلوفيتش ،1998م، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر*،ص24.بارت. رودي، *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية*، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة: دار الكتاب العربي،ص 11.

[4] سما يلوفيتش ،1998م، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر* ، ص23 \ آربري. ا. ج ،1946م، *المستشرقون البريطانيون* ، تعريب محمد الدسوقي النويهي،لندن: وليم كولينز ، ص8.

[5] سما يلوفيتش ،1998م، *فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر* ، ص24 جويدي.م.أ.، 1347هـ ، *علم الشرق وتاريخ العمران* ، الزهراء ، الربيع الأول ،ص1114.

لو انتقلنا إلى العرب والمسلمين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن لإدوارد سعيد عدة تعريفات للاستشراق منها قوله " كل من يقوم بدراسة الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه، وسواء كان ذلك المرء مختصاً بعلم الإنسان الأنثربولوجيا Anthropology، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرخاً أو فقيه لغة فيلولجياVeloljia في جوانبه المحدودة والعامة على حد سواء هو مستشرق، وما يقوم به هو أو هي بفعله هو استشرق "[1].

ومنها قوله " أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين "الشرق" معظم الوقت وبين الغرب"[2] ويقول في موضع آخر أنّ الاستشراق: "نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق"[3]

أما أحمد عبد الحميد غراب فقد قدّم مجموعة من التعريفات للإستشراق استناداً إلى العديد من المراجع في هذا المجال، ثم اختار من بينها تعريفاً واحداً هو:" أنّ الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون — من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات ... بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[4]

وأما المستشار على الجريشه يعرض تعريف المستشرق ميكائيل أنجلو جويدىMichael Angelo Gwede القائل "ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على بعض اللغات المجهولة أو يستطيع إن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنه من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض اتحاد الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية، وهو من تعاطي درس الحضارات القديمة "[5]

مؤيداً بهذا أقوال المفكّرَيْن بإن الاستشراق يعني: "تعلم علوم الشرق ... وتلك كانت بدايته واغلب الظن إنه كانت بعد أن فتح الغرب عينيه مع الفتح الإسلامي أو على الفتح الإسلامي، وبعد ما انتقلت حضارة المسلمين وعلومهم إلى الغرب"[6]

ويأتي محمود حمدي زقزوق ليصف المستشرق بأنه" هو كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه

---

[1] سعيد .إدوارد ، *الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء)* ،ط 2،ترجمة: كمال أبو الديب، بيروت، ص38.

[2] سعيد .إدوارد، 1979م، .*الاستشراق* .نيويورك : كتب عتيقة ، ص2.

[3] سعيد .إدوارد، 1979م، .*الاستشراق* ،ص 92.

[4] غراب .أحمد عبد الحميد ، 1411هـ، *رؤية إسلامية للاستشراق*، ط2 ،(بير منجهام: المنتدى الإسلامي) ص 7 .

[5] جريشه. على ،2007م ، *الاتجاهات الفكرية المعاصرة*، ط 4،المنصورة: دار الوفاء ، ص15.

[6] جريشه ،2007م ، *الاتجاهات الفكرية المعاصرة*، ط 4،ص*15*.

وأدناه في لغته وآدابه وحضاراته وأديانه"[1]، متأثر بتعريف أساتذة للإستشراق، فيعرف الاستشراق بأنه: " الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"[2]

المطلب الخامس : تعريف الاستشراق عند المُفكّرَيْن

يعرف الدكتور محمد البهي الاستشراق بأنه: " بحوث ودراسات في قضايا التراث الإسلامي في العقيدة .. وفي الفقه .. وفي الشريعة .. وفي التاريخ السياسي .. وفي الأمانة والخلافة .. وفي الفلسفة .. وفي الاجتماع ..الخ قام بها قساوسة ولاهوتيون بتكليف من الكنيسة أو من وزارات الخارجية للدول الغربية أو الشرقية على السواء"[3] مشيراً إلى إن الاستشراق في بدايته عبارة دراسات وأبحاث قام بها القساوسة ولاهوتيون تدعمهم الكنيسة أو الدولة، لتعلم اللغة العربية ودراسة الإسلام ولكن سرعان ما امتدت هذه الدراسات إلى الجامعات لتأخذ شكلا مغايرا للبحث العلمي بالطعن في الإسلام والدين الإسلامي من قبل أشخاص تتلمذوا على أيدي المستشرقين تدفعهم أهواء الغرب الحاقدين للسيطرة على العالم، قائلاً: "دخل الاستشراق الآن من ليسوا قساوسة أو لاهوتيين وإنما متخرجون في الجامعات ومسيرون في بحوثهم طبقاً لمنهج الاستشراق العام"[4] مفرقاً بين معنى الاستشراق والتبشير حتى يبعد الالتباس على فهم فهم القارئ قائلاً: " أن الفرق بينهما — ويقصد الاستشراق والتبشير – هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث ، و ادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة وهي العقلية الشعبية"[5] بمعنى إن الاستشراق استخدم الكتاب، والمقال في المجلة العلمية، وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية. أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية من التعليم، كما سلك العمل الخير الظاهري في المستشفيات ودور الحضانة ودور اليتامى وملاجئ المسنين، في سبيل الوصول إلى غايته.

وفي هذا المقام نجد أن الدكتور محمد ياسين عريبي لا يخالف الدكتور محمد البهي في تعريفه للإستشراق، بل إنه يشير إلى قطبين سار عليهما الاستشراق الغربي في النيل من الأمة الإسلامية قائلاً: " الاستشراق مغنطيس الحضارة الغربية الذي يتحدد قطبُه الموجب في تحليل الفلسفة الإسلامية المترجمة إلى اللغة العبرية واللاتينية والتي أقام فلاسفة الغرب على لبناتها وهيكلها نظرياتهم العلمية ومناهجهم التجريبية ومذاهبهم الفلسفية، وخاصة في القرنين السابع عشر

---

[1] زقزوق. محمود حمدي،2008م، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ،ص22.

[2] زقزوق ،2008م، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص22.

[3] البهي.محمد ،1981م، *الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة*، ،القاهرة :مكتبة وهبة ،ص30.

[4] البهي،1981م، *الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة* ، ص30.

[5] البهي.1985م، *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي*، ط11،القاهرة: مكتبة وهبة ،ص418.

والثامن عشر الميلاديين.

أما القطب السالب فيتمثل في تحليل آيات القرآن المترجم للغة اللاتينية والذي أدى تحليل معانيه إلى تحالف الثالوث السالب ونعني به ظاهرة التبشير والاستعمار والصهيونية "[1]

محدداً بهذا وظيفة الاستشراق في قطبين : قطب موجب يتمثل في تحليل الفلسفة الإسلامية المترجمة من العربية إلى اللاتينية والعبرية والقشتالية[2] إلى اللغة الأوروبية، والاستفادة من نظرياتها العلمية، ومناهجها التجريبية دون الاعتراف بمشاركة المسلمون في بناء هذا الفكر؛ حيث عمد المستشرقون إلى وصف الفكر الإسلامي على إنه مجرد وسيلة لفهم التراث اليوناني، وبالتالي التقليل من دور المسلمين في الجانب الإبداعي. وقطب سالب يتمثل في ترجمة آيات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية الذي كان الدكتور محمد ياسين يأمل إن يقدم فيه بحثاً شاملاً لترجمة معاني القرآن بالقدر الذي يماس تغريب العقل التاريخي لكن حال القدر دون ذلك، مؤكد بهذا رأي الدكتور محمد البهي بإن الاستشراق هو دراسة العالم الإسلامي وعلومه وحضارته لا من اجل الفائدة بل من اجل النيل من الدين الإسلامي.

بناء عليه يمكن القول بأن الاستشراق في الاصطلاح علم أو اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى. ويلحق بالاستشراق ما تبثُّه وسائل الإعلام الغربية من كتابات وبرامج تتناول الإسلام والمسلمين وقضاياهم. فالاستشراق إذن اتجاه فكريّ يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية ولغات الشرق وأديانه وآدابه.

المبحث الثاني أعلام الاستشراق ومناهجهم

تحتاج دراسة أعلام الاستشراق إلى بحث مستقل؛ فلا يمكن لمادة كتبت في موسوعة علمية كموسوعة المستشرقون لنجيب العفيفي التي قد تجاوزت السبعمائة وألف1700صفحة أو موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي التي بلغت في طبعتها الثالثة – يوليو 1993م – ست مائة وأربعين 640 صفحة من الحجم الكبير إن نفيها حقها فمن الصعب الإحاطة بكل من له تأثير كبير في هذه الدراسات ولكن حسبنا أن نشير إلى أن الاستشراق نال حظاً

---

[1] عريبي .محمد ياسين، 1990م. *تأملات في بناء المجتمع الإسلامي*. ط2. طرابلس : منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ص59.

[2] القشتالية هي اللغة الاسبانية القديمة (Española)و أسمها القديم.(Castellano) يعتقد بأنها نشأت في كورديرا، في شمال إسبانيا ،و في القرون الثامن والتاسع الميلادي بعد حروب الاستردادية، توسعت اللغة القشتالية إلى الجنوب كله تقريبا وحلت محل اللغات التي يتكلمها المغاربة في المنطقة، مثل العربية.

جيداً من الدراسة في الجامعات العربية والإسلامية ومن قبل بعض الباحثين المسلمين والمستشرقين أنفسهم؛ فهذا مثلاً ادوارد سعيد يبين أن مجموع ما ألفه المستشرقون بين عامي 1800م و1950م مما يتعلق بالشرق الأدنى يتجاوز 62 ألفاً من المجلدات[1] وهو ما يدل على استحالة الحديث عن أعلام الاستشراق وأهم مؤلفاتهم وإسهاماتهم في حيز ضيق كهذا، ولكن حسبنا أن نشير في هذه البحث إلى المصادر التي يمكن أن يستقى منها تعريف أوسع بهؤلاء الأعلام وغيرهم.

المبحث الثالث منهج المستشرقين في دراسة العالم الإسلامي:

لقد تعددت مناهج المستشرقين في دراستهم للعالم الإسلامي بتعدد أعلامهم وبُحاثهم لذا من الصعب أن نجمع المستشرقين كلهم في بوتقة واحدة، ونزعم أن منهجهم كان واحداً في كل الأزمان والأوقات وفي كل الموضوعات التي تناولوها، ولكن طبيعة دراستنا تحتم علينا بيان منهاجهم وطريقة تناولهم لقضايا العالم الإسلامي ، وتسهيلاً لهذا الأمر يمكننا إجمال هذه المناهج التي يشترك فيها عدد كبير من المستشرقين قديماً وحديثاً في تناول العلوم الإسلامية على النحو التالي:

المطلب الأول منهج الأخذ بالنزعة التأثيرية .

هي نزعة دراسية يأخذ بها الكثير من المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام وفي مقدمتها القرآن الكريم، بعد تجزئتها إلى اليهودية أو النصرانية أو إليهما معاً؛ دون أن يلتفت أحد منهم إلى كيفية صيرورة الإسلام ديناً مستقلاً ذا منظومة شاملة ومتناسقة العناصر، مصرين على إن الجنس العربي ليس من صفاته التعمق في التفكير ولا الابتكار.ومن هؤلاء المستشرقين ماركس هورتن الألماني ورينان الفرنسي اللذان يبالغان في الحكم على قصور العقلية الإسلامية على التفلسف فيسلبان كل أمر علمي عقلي أنتجته عقول مفكري الإسلام. وفي المقابل كان: جولد زيهر المجري، ودي بور الهولندي، وكارا دي فو الفرنسي يخففون من هذا الغلو[2]

هذه النزعة التأثيرية تشكل خطورة كبيرة على وحدة الفكر الإسلامي، والأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج – منهج النزعة التأثيرية – تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الأفكار الإسلامية وغيرها من الأفكار الأجنبية مهما كان التشابه كاذباً ملفقاً وغير حقيقي.

---

[1] المطعنى .عبد العظيم إبراهيم محمد ،1993م ، *أوروبا في مواجهة الإسلام، الوسائل والأهداف*، القاهرة :مكتبة وهبة ،ص110.

[2] البهي.1982م. الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي. ط6 .القاهرة: مكتبة وهبة، ص18.

ومن خلال هذه الأحكام تم تطبيق هذا المنهج على الفكر الإسلامي دون أدنى اكتراث بخصوصيات الفكر الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية وبيئية أصيلة مستمدة من القرآن والسنة النبوية. فهذا ديلاسى أوليرى يتحدث في مقدمة كتابه الفكر العربي ومكانه في التاريخ عن العقلية العربية قائلاً: "الحق أن هذه الثقافة الإسلامية في أساسها وفى جوهرها جزء من المادة الهيلينية الرومانية، بل إنه حتى علم التوحيد الإسلامي قد تمدد وتطور بواسطة منابع هلينية". ثم يناقض أوليرى نفسه فيقول: "ولكن الإسلام ظل مدة طويلة منعزلاً عن المسيحية، وحدث تطوره في بيئات تختلف عنها تماماً، حتى ليبدو غريباً عليها، أجنبياً عنها"[1]؛ حيث ذهب المستشرقون إلى دراسة التراث الإسلامي من وجهة نظر عرقية أي النظر إلى العرب الذين أنتجوا ذاك التراث بأنهم محكومون بالقصور الطبيعي المطلق عن الإبداعات العقلية أو باقتصار إمكاناتهم العقلية عن التفكير الفلسفي.

هنا يرد محمد البهي على من يقول أن العقلية الإسلامية عقلية غير منتجة بقوله: " فلو أن العقلية الإسلامية لا تملك القدرة على التفكير الفلسفي لما كان لها أنتاج يذكر سواء في التوفيق بين الفلسفة والدين وفي عملية النقد للفكر الفلسفي الدخيل فكلتاهما عمليتان تدلان على إن العقل الذي يباشرهما هو عقل فلسفي يستطيع البناء إن دعته ظروف الفكر إلى البناء"[2]

وهذا يدل على أن ادعائهم القائل بأن الفكر الإسلامي يقوم المحاكاة ومردد للفكر الدخيل والأخص الإغريقية منها، دون إن يقدم جديداً أو حتى دون أن يهضمه مردود عليهم وهو ما يؤكده البهي بقوله:" لكن في واقع الأمر: عدم بناء الفكر الإسلامي جديداً في الفلسفة الإغريقية الإلهية أي عدم إضافته حلقات إلى ما خلفه الإغريق فيها لا يدعو إلى وقف العقلية الإسلامية عند حد الحكاية والتقليد دون الأصالة والبناء "[3]

ويؤيد محمد ياسين عريبي ذلك بقوله" أما رد الفكر الفلسفي الإسلامي إلى الفلسفة اليونانية، فانه يكفي لدحض هذا الرأي واقعية الفكر نفسه الذي استمر هذه القرون الطويلة متميزاً بإنيته ولو لم يكن هذا الفكر أصيلاً لما تميزت الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارة الغربية"[4].

ويضيف محمد البهي إلى ذلك إن الذين اخذوا بالتراث اليوناني حاولوا التوفيق بينه وبين مبادئ الإسلام قائلاً: "فالذين احتضنوا هذا الفكر من المسلمين استنفدوا صنعتهم العقلية في التوفيق والملائمة بين الجانبين والذين رفضوه

---

[1] أوليرى،1961م. *الفكر العربي ومكانته في التاريخ*، ترجمة ،تمام حسين، القاهرة، مقدمة الكتاب.غير مرقم.

[2] البهي ،1981م ، *الفكر الإسلامي في تطوره*، القاهرة :مكتبة وهبة،ص 18.

[3] البهي ،1981م ، *الفكر الإسلامي في تطوره*،ص17 .

[4] عريبي.1991م . مواقف ومقاصد في الفكر الإسلامي المقارن.طرابلس:الدار العربية للكتاب.ص12.

منهم قصروا تفكيرهم على إظهار نقائصه وبيان بطلانه من وجهة المقاييس العقلية في المرتبة الأولى ثم من وجهة نظر الإسلام في المرتبة الثانية"[1]

فللفكر الإسلامي مفاهيم لها دلالتها واستقلالها، وقد تتطور مصطلحاها تبعاً لتطور الحياة، ولكن مضامينها تظل ثابتة وراسخة وإلا تلاشت القاعدة التي تؤكد أن الإسلام من المرونة بحيث تستوعب أصوله تطور الحياة مكانا وزمانا.

من هنا نجد أن العقل الإسلامي نفسه في مجال آخر غير مجال الميتافيزيقيا والإلهيات وهو مجال الرياضة والطبيعة استطاع إن يكون عقلاً أصيلاً .. لأنه في هذا المجال الآخر لم يجد الحرج الذي وجده في المجال الإلهي، وهو الحرج الناشئ عن القيمة الذاتية للتعاليم الإسلامية، التي أدركها وبرهن على صحتها قبل نقل الفكر الدخيل الإغريقي إلى اللغة العربية فكان من الطبيعي أن يفهم الفكر الدخيل في ضوء تلك القيمة الذاتية للتعاليم الإسلامية وكان من الطبيعي كذلك قبل البناء في الفكر الفلسفي الدخيل: أن يوفق أو ينقد هذا الفكر عندما تبدو معارضته لشيء التزمه عقلاً قبل ذلك وهو تعاليم الإسلام[2]

وخلاصة القول تبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي وغايته من ذلك فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلى الإستسلام أمام الرجل الغربي وثقافته وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين وزعزعة عقائدهم بما يفتح للتبشير النصراني طريقاً إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباعٍ لهم.

المطلب الثاني تغريب الفكر الإسلامي.

يحاول الغرب خلق عقلية جديدة من شباب المسلمين تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ثم تحاكم الفكر الإسلامي من خلالها، بهدف جعل الحضارة الغربية هي التي تحكم وتسود على غيرها.فإذا كان الفكر الإسلامي قد ظل عدة قرون سليماً معافى وحائلاً دون أي تسلل لفكر دخيل، فإننا لا ننكر أن بداية اقتحام الفكر الدخيل ومحراب الفكر الإسلامي الأصيل قد تمت منذ وقت غير يسير ذلك عندما أخذ يدب الخلاف بين المسلمين، وأصبحت تطفو مذاهب وفرق وأحزاب شتى كل واحد منها يدعو إلى ما يخيل إليه أنه عين الصواب، وقد كان ذلك بسبب عدم استقامة في التفكير أو سبب ضعف الإيمان في النفوس مما أدى إلى التحلل من الالتزام بأسس الكتاب والسنة وتوجيهاتهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء 59.

[1] البهي ،1981م ، *الفكر الإسلامي في تطوره*، ص 18.

[2] البهي ،1981م ، *الفكر الإسلامي في تطوره*، ص 18.

فمحاولة تغريب الفكر الإسلامي هي محاولة تكاد تكون مصاحبة لكل مراحل الاستشراق ومتداخلة مع كل التيارات فلقد كشف هاملتون جب Hamilton Jub في كتابه وجهة الإسلام أن هدف البحث هو معرفة :إلى أي حد وصلت إليه حركة تغريب الفكر الإسلامي، وما العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب، ويمكن لقارئ الكتاب أن يكتشف أبرز مناهج التغريب التي يسقطها المستشرقون على الفكر الإسلامي .

ومصطلح التغريب هذا يقصد به إظهار تفوق الفكر الغربي على الفكر الإسلامي وقد حاول علماؤنا الأسلاف عبر القرون الحيلولة دون هيمنة الفكر الوافد أو العقلية الخارجية المتمثلة في ثقافات اليونان والهنود والمجوس واليهود وظل أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث يتنبهون إلى خطورة المناهج التغريبية في مجال الفكر الإسلامي ويواجهون أخطر المحاولات الدائمة في سبيل تحريف أصوله وأسسه الأصيلة، حيث يؤكدان محمد ياسين عريبي ومحمد البهي على إن الغرب لم يعترف بإبداعات الشرق الإسلامي في بناء الفكر و دوره في بناء نهضة أوروبا قائلاً "إن رجال الفكر الغربي رفضوا الاعتراف للشرق بأي إسهام فعلي في بناء هذا الفكر ، حيث حددوا بداية الفكر الفلسفي بطاليس thales واتخذوا من الفكر اليوناني منطلقاً لتمثل الفكر الشرقي وصهر لبناته في بوتقة الفكر الغربي وقد عمد ديكارت R.descartes- الذي سمي بأبي الفلسفة الحديثة إلى وضع إطار فلسفي شامل أصبح هو الجدار الذي تحدد خلاله النظريات الحديث والمعاصرة وأصبح هو الجسر الذي يربط بين الفكر اليوناني القديم والفكر أوروبي الحديث دون الرجوع إلى الفكر الإسلامي الوسيط"[1]

أن نتيجة عدم الاعتراف هذه من الغربيين قد تطورت إلى عملية الاستيلاء على الفكر الشرقي، ومن ثمّ رده للحضارة الغربية فظهرت عدة وجهات نظر قاصرة حول الفكر الفلسفي في الإسلام كالفصل بين من سموا بفلاسفة الإسلام وعلماء الكلام أو رد الفكر الإسلامي إلى الفلسفة اليونانية أو رد نشأة هذا الفكر إلى العامل الاقتصادي إلى غير ذلك من التصورات القائمة على التقليد الساذج بعيداً عن التحليل والنقد البناء لأن الفكر واحد سواء أن كان فلسفة أو علم كلام وهذا هو ما برهنت عليه عملية التركيب للفكر الإسلامي داخل الفكر الأوربي الحديث بل نجد نظريات علماء الكلام ومناهج بحثهم تحظى بنصيب الأسد في عملية التركيب للفلسفة الحديثة والمعاصرة[2]

من هنا يمكن القول إن سياسة تغريب الفكر الإسلامي من طرف الخطاب الاستشراقي تتمثل أساساً في حمل المسلمين على قراءة تاريخهم وفكرهم من خلال مناهج الغرب ومقاييسه بهدف تحطيم المسلمات التي يؤمن بها المسلمون، بانتقاص الفكر وإشاعة الشبهات والطعون والتقليل من أهمية التراث.

المطلب الثالث القول بالانشطارية .

---

[1] عريبي ،1991م، *مواقف ومقاصد* في الفكر الإسلامي المقارن ،ص78.

[2] عريبي ،1991م، *مواقف ومقاصد* في الفكر الإسلامي المقارن ، 12.

كرس المستشرقون الغربيون جهودهم من اجل ترسيخ مقولة قصور الفكر الإسلامي وأتباعه والقول بعجزهم عن التفاعل والترابط وعدم قدرتهم على الاستيعاب والتكامل؛ وعلى الرغم من إن المستشرقون يعون جيداً مدى تكامل المعرفة الإسلامية والفكر الإسلامي المبني أساساً على التكامل بين قيمه ومثله والترابط بين مختلف جوانبه، ولكنهم عندما يحاولون دراسة بعض مباحث الفكر الإسلامي، فإنهم يسعون جاهدين إلى تجزئتها وعزل بعضها عن بعض بقصد التأكيد على استحالة التقاء عناصر القوة والتكامل في كل واحد.

ولعل أبرز ما وصلت إليه الانشطارية في الفكر الغربي وحاولوا تطبيقها على الفكر الإسلامي من وجهة نظر المفكّرَان: هو فصل حاضر الأمة عن ماضيها؛ فإنكار الماضي والدعوة إلى الانفصال عنه من خصائص الفكر الغربي، وهو ما يحاول بعض المستشرقين نقله إلى الفكر الإسلامي، ولذلك نجدهم يرمون التراث الإسلامي بكل مهانة وانتقاص، وهو ما يوضحه محمد البهي بقوله: " هذه الانفصالية ذاتها دعت بعض مؤرخي الأجانب للحكم على الفقه الإسلامي بالإفلاس أو بالتأزم وكلاهما دليل على أن إمكانياته محدودة، وأنها انتهت و استنفدت عند حد معين في تاريخ الجماعة الإسلامية ولم تستطيع بعد هذا الحد المعين إلي الآن إن تقدم المعنوية الضروري [1]

ويؤكد عريبي ذلك من خلال تنبيهه إلى أن التبعية العمياء للغرب ولحضارته المزيفة حالت دون تقدم الإسلام الذي امتاز بالمرونة في التعامل مع الجديد دون الانفصال عن الماضي فالفكر الإسلامي تعبيرٌ عن منظومة إسلامية بكل شمولها وعموميتها في العقيدة والشريعة والسياسة والاجتماع والتربية والأخلاق، إذ لا يمكن بحال – كما يريد المستشرقون – الفصل بين الإسلام والفكر الإسلامي، فمنابع الفكر الإسلامي تتسع لمصادر التشريع ولكنها لا تقف عند حدودها بل تتجاوزها إلى منبع أصيل هو الرأي الذي هو ثمرة الاجتهاد، وإذا كانت مصادر التشريع هذه هي المكونات لبناء الإسلام ديناً ودولة، عقيدة وشريعة، نظاماً وسلوكاً فإن الفكر الإسلامي هو حارس هذا البناء لا يمكن تمييزه عنه أو القول بفصله عن الماضي من هنا جاء قول محمد البهي: أن هذه الانفصالية التي وقعت منشؤها: طغيان التعصب للمذاهب وعدم الانفكاك عن التبعية المطلقة فحال هذا الطغيان دون اتخاذ موقف حر يعود بالإسلام إلى مرونته وبذا يمكن له إن يستوعب الجديد من الإحداث ويمكن له إن يستمر كذلك في تقديم المعونة التي كان يقدمها فيما مضى[2]

وقد نحا الخطاب الاستشراقي الحديث هذا المنحى بناء على سيادة روح الانشطارية في الفكر الغربي أصلاً ومحاولة تطبيقها على الفكر الإسلامي؛ وتجدر الإشارة إلى أن الانشطارية في الفكر الغربي قد انطلقت من منطلق الفصل بين الدين والدولة، فترتب عليه تقبل هذا الفكر لكل الإيديولوجيات والمناهج الاجتماعية والمذاهب الاقتصادية.

---

[1] البهي ،1981م ، *الفكر الإسلامي في تطوره*، ص1617.
[2] البهي ،1981م ، *الفكر الإسلامي في تطوره*، ص17.

المبحث الرابع غاية الاستشراق من دراسة الإسلام

لقد تطور علم الاستشراق منذ منتصف القرن الثامن عشر بتطور أساليبه وغاياته وأصبح يأخذ طابعاً علمياً موضوعياً إلى حد كبير وخاصة في نبذه الجوانب التعصبية التي كانت من طابع العصور الوسطى، إلا أنه ما لوحظ في علم الاستشراق هو اهتمام المستشرقين بالدراسات الإسلامية أكثر من اهتمامهم بالدراسات العربية، ويبرر المستشرق رودى بارت Rudi Barth ذلك بقوله: يرتبط الإسلام بالعروبة بعلاقة تبادل فريدة، فقد كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة في بوادي وواحات شبه الجزيرة التي سميت نسبة إليهم يعبثون فساداً، حتى جاء محمد ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد خالق بارئ وجمعهم في كيان واحد متجانس وانطلقت آيات وسور القرآن لأول مرة في مكة وهي أقدم أعمال الثقافة الإسلامية العربية المدونة، ولكن العالم الواسع المترامي الإطراف ما كان إن يحس بالعرب لو لم يتحلوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية؛ ولهذا كانت ظاهرة الإسلام ظاهرة تلقى أسبقية وأفضلية في ميدان البحوث العربية الإسلامية[1]

ولما كان اهتمام المستشرقين وغاياتهم منصبة على الإسلام وموضوعاته، فقد أنشئوا علم الإسلاميات (Islamologie)، وهم يحاولون بذلك إعطاء الصبغة العلمية لدراستهم ونتائجهم، وما يؤكد ذلك تعريفهم لهذا الموضوع (علم الإسلاميات) بأنه الدراسة العلمية للدين الذي يعتنقه المسلمون، وتأثيره على المجالات المختلفة للنشاط الإنساني، فالدراسة تتعلق إذا بالعقيدة المحمدية، وكل المعلومات التي تطورت في إطارها، أو من خلال التيارات المخالفة لها، كما تهتم الدراسة بانتشار الإسلام والمفاسد التاريخية للدول الإسلامية، أي أنها تدرس الحياة الثقافية في البلدان الإسلامية.

من هنا أصبح الاستشراق أكثر تخصصاً وتركيزاً على موضوع الإسلام ومجالاته، مستخدماً في ذلك مناهجه، إلى حد أن المنهج الاستشراقي أصبح جزءا أساسياً من الاستشراق نفسه، وتحدد الاستشراق:"كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الإسلام عقيدة وحضارة وتراثا، كان دافعه الأصيل العمل من أجل إنكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي الأمة، والتنديد والاستخفاف بها"[2].

وبالتالي جاء موقف المفكّرَيْن محمد البهي ومحمد ياسين عريبي معارضاً لظاهرة الاستشراق التي هي في باطنها ظاهرة استعمارية صليبية قامت تحت غطاء البحث العلمي ولهذا أشار محمد البهي إلى أن عمل المستشرقين الدارسين للإسلام، عمل ينطوي على نزعتين الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد نفوس المسلمين

---

[1] بارت.رودى،د.ت. *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية،ت: مصطفى ماهر*، القاهرة: دار الكتاب العربي، ص20.

[2] عبد الحميد. عرفان ،د.ت. *المستشرقون والإسلام*، ط3 ،بيروت: المكتب الإسلامي. ص4.

لقبول النفوذ الأوربي والرضاء بولايته والثانية تكمن في نزعة الروح الصليبية في دراسة العالم الإسلامي تحت غطاء البحث العلمي[1]

يستنتج من كلام محمد البهي ذلك إنه لم تكن غاية وحماسة التبشير و الاستشراق ولا مشاركتهم في التنديد والاستخفاف بالعقيدة الإسلامية عفواً ولا لغواً، ولكنه كان غاية مقصودة وموجهة نحو الإسلام والمسلمين فكتفوا جهودهم واستخدموا كل الوسائل من اجل إبعاد المسلمين عن دينهم و إدخالهم في المسيحية ذاتها فأرسلوا مبشريهم تحت غطاء البحث العلمي للتبشير بالنصرانية، وهو ما يفسرها و يبينها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[2].

والمعلوم أن المستشرقين ليسوا جميعا ممن ينتمون إلى النصرانية دينا ففيهم المستشرقون اليهود الذين خدموا اليهودية من خلال دراساتهم الاستشراقية كما أن فيهم الملحدين الذين خدموا الإلحاد من خلال اهتمامهم بالمنطقة العربية والإسلامية ومحاولاتهم نشر الإلحاد في هذه البقاع بديلاً عن الإسلام [3]

ولقد عمل المستشرقون والمبشرون كلما بوسعهم من أجل صد المسلمين عن دينهم بل أن منهم من أفنى جهده وعمره من اجل ابعاد المسلمين عن دينهم، وهو ما يدل عليه قوله سبحانه تعالى:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[4]

يرى الدكتور محمد البهي إنه رغم الفرق في المنهج والطريقة التي يتخذها كلٌ من التبشير و الاستشراق في سبيل صد المسلمين عن دينهم، فأنهما وجهان لعملة واحده مؤكداً ذلك بقوله: " الاستشراق لون من ألوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة وإذا كان الاستشراق نوعا من أنواع التبشير فتعرف هدف التبشير نفسه يعطينا بالتالي صورة عن هدف الاستشراق"[5].

فالاستشراق و التبشير من وجهة نظر المفكّرَيْن لا فرق بينهما من حيث الغاية والوسيلة والهدف؛ فكلاهما يهدفان: " إلى توهين القيم الإسلامية والغض من اللغة العربية الفصحى وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية وكذلك بين الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضر والازدراء بها في المجالات الدولية والعالمية"[6].

---

[1] البهي.1985م، *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي*، ط11،القاهرة: مكتبة وهبة، ص43.

[2] البقرة: ١٢٠.

[3] العقيقي .نجيب، 1980 م ، *المستشرقون*، ط 4 ، ج3 ، القاهرة : دار المعارف ،ص 219 221 .

[4] البقرة:217

[5] البهي .محمد .د.ت ، *المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام* ،مجلة الأزهر ، القاهرة: مطبعة الأزهر، ص6.

[6] البهي ، .د.ت ، *المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام* ،ص1.

وهو ما يؤكده محمد ياسين عريبي بقوله: " وإذا كان التبشير و الاستشراق قد توحدا حول هذا الهدف فما هما إلا مجرد وسيلة لهذا التغريب وما جاء بعده"[1].

فالمستشرقون على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم يعملون وفق خطط مدروسة تستهدف إضعاف قوة الإسلام في مختلف المجالات تساندهم وتؤيدهم و ترع حركتهم الدول الغربية ، بالتالي فقد ساعدت حركة المد الصليبي على التوسع في حركة الاستشراق والتركيز على دراساته والاهتمام به فجاءت أهداف التبشير و الاستشراق متفقة مع أهداف الاستعمار وهو ما يؤكده محمد البهي بقوله" سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب الأول في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين ثم أتصل بالاستعمار"[2]

وقد اتفق المفكّرَان على إنه قبل أن يظهر التبشير بديلاً عن الحروب لتحطيم عقيدة المسلمين كانت الحروب الصليبية التي أنتجت كذلك إنتاجا فكريا – هو الاستشراق– وهم قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الصليبي إلى الكتابة عن الإسلام؛ فأفقدهم التعصب أمانة العلم، وعمدوا إلى تشويه الإسلام من عدة نواح: فرددوا أن القرآن من وضع محمد ε وأخلطوا بين مصادر الأحكام الإسلامية، بين المصادر الإلهية القرآن والسنة، وبين الاجتهاد ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة وإلى غير ذلك من الشبهات.

يتضح مما ذكره المفكران أن المستشرقين و التبشير عندما بدءوا يدرسون العالم العربي والإسلامي وحضارته العربية الإسلامية وثقافته وتاريخه وبعضهم أفنوا أعمارهم وسخّروا جهودهم في دراسة مخطوط أو تحليل مرحلة تاريخية حضارية أو التنقيب عن آثار، إنما كان ذلك لتحقيق أهداف ودوافع بغض النظر عن العامل الأساسي أو الثانوي وراء دراسة تلك المخطوطات أو تحليلها بل تكمن غاية من عملهم ذلك أضعاف قوة المسلمين والحيلولة دون وحدتهم في إمبراطورية واحدة وتحت راية واحدة فجعلوا منهم دويلات متفرقة متناحرة تفصل بينهم حدودا وهمية اصطنعها الغربيين لتسهل عليه السيطرة عليهم تحت شعار فرق تسد.

من ثَمّ يتفق المفكّرَان على أن الاستشراق و التبشير مقدمة أساسية للاستعمار، كما أنه سبب مباشر لتوهين قوة المسلمين والحيلولة دون وحدتهم وتوجهاتهم لما يرونه من خطر في وحدتهم على الشعوب الغربية.

نتائج البحث:

1 – أكد المفكران على إن الاستشراق في بدايته كان دراسات وأبحاث قام بها قساوسة ولاهوتيون تدعمهم الكنيسة أو الدولة، ولم تكن غايتهم في الأساس إلا تعلم اللغة العربية ودراسة الإسلام ولكن سرعان ما

[1] عريبي.*1991م ،الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي*، الرباط :المجلس القومي للثقافة العربية ،ص132.
[2] البهي ،1985م، *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي* ، ص430.

تغيرت هذه الغاية بعد إن امتدت هذه الدراسات إلى الجامعات وأخذ شكلها المغاير للبحث العلمي بالطعن في الدين الإسلامي.

2 – يؤكد محمد ياسين عريبي أن وظيفة الاستشراق تكمن في قطبين:

أ – قطب موجب يتمثل في تحليل الفلسفة الإسلامية المترجمة من العربية إلى اللاتينية والعبرية إلى اللغة الأوروبية و الاستفادة من نظرياتها العلمية، ومناهجها التجريبية دون الاعتراف بإسهام المسلمين في بناء هذا الفكر حيث عمد المستشرقون إلى وصف الفكر الإسلامي بأنه مجرد وسيلة لفهم التراث اليوناني من ثَمّ التقليل من دور المسلمين في الجانب الإبداعي.

ب–وقطب سالب يتمثل في ترجمة آيات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية.

3 – يتفق المفكران على إن الاستشراق اتجاه فكريّ يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة وقد كان مقتصراً في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كُله بلغاته وتقاليده وآدابه فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية ولغات الشرق وأديانه وآدابه.

4 – يؤكد المفكران على أنه رغم تعدد مناهج المستشرقين إلا أنها ترمي إلى غاية واحدة وهدف واحد هو الطعن في الإسلام ونبيه ε من خلال تشكيك المسلمين في عقائدهم وفكرهم وحضارتهم.

5 – يؤكد المفكران على أن الأحكام التعسفية المرتبطة منهج النزعة التأثيرية تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الأفكار الإسلامية وغيرها من الأفكار الأجنبية مهما كان التشابه كاذباً ملفقاً وغير حقيقي، ومن خلال هذه الأحكام تم تطبيق هذا المنهج على الفكر الإسلامي دون أدنى اكتراث بخصوصيات الفكر الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية وبيئية أصيلة مستمدة من القرآن والسنة النبوية.

6 – رد محمد البهي على القائلين بأن العقلية الإسلامية عقلية غير منتجة بقوله: فلو أن العقلية الإسلامية لا تملك القدرة على التفكير الفلسفي لما كان لها انتاج يذكر سواء في التوفيق بين الفلسفة والدين وفي عملية النقد للفكر الفلسفي الدخيل فكلتاهما عمليتان تدلان على إن العقل الذي يباشرهما هو عقل فلسفي يستطيع البناء أن دعته ظروف الفكر إلى البناء

7 – يرد محمد ياسين عريبي على القائلين بان الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية كتبت بحروف عربية بقوله: أما رد الفكر الفلسفي الإسلامي إلى الفلسفة اليونانية، فانه يكفي لدحض هذا الرأي واقعية الفكر نفسه الذي استمر هذه القرون الطويل متميز بإنيته و لو لم يكن هذا الفكر أصيلاً لما تميزت الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارة الغربية.

8 - يشير المفكران إلى أن خطورة الاستشراق لا تكمن في دراسته للحضارة الإسلامية فقط بل أيضا في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على أساليب المناهج التعليمية والثقافية والفكرية في العالم الإسلامي وغايته من ذلك فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلى الاستسلام أمام الغربي وثقافته وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين وزعزعة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحي طريقا إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباعٍ لهم.

9 - بين محمد ياسين عريبي أن غاية رجال الفكر الغربي تكمن في رفض الاعتراف للشرق بأي إسهام فعلي في بناء هذا الفكر حيث حددوا بداية الفكر الفلسفي بطاليس thales واتخذوا من الفكر اليوناني منطلقاً لتمثل الفكر الشرقي وصهر لبناته في بوتقة الفكر الغربي وقد عمد ديكارت R.descartes الذي سمي بأبي الفلسفة الحديثة–إلي وضع إطار فلسفي شامل أصبح هو الجدار الذي تحدد خلاله النظريات الحديثة والمعاصرة، وأصبح هو الجسر الذي يربط بين الفكر اليوناني القديم والفكر الأوروبي الحديث دون الرجوع إلي الفكر الإسلامي الوسيط.

10 - يؤكد المفكران على إن سياسة تغريب الفكر الإسلامي من طرف الخطاب الاستشراقي تتمثل أساساً في حمل المسلمين على قراءة تاريخهم وفكرهم من خلال مناهج الغرب ومقاييسه بهدف تحطيم المسلمات التي يؤمن بها المسلمون، بانتقاص الفكر وإشاعة الشبهات والطعون والتقليل من أهمية التراث.

11 - يتفق المفكران على أن الاستشراق و التبشير لا فرق بينهما من حيث الغايات و الوسائل و الأهداف فكلاهما يسعيان: إلى التقليل من القيم الإسلامية والحط من أهمية اللغة العربية و تفريق وحدة الشعوب العربية وكذلك الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضرة و الازدراء بها في المجالات الدولية و العالمية جاء بعده.

المصادر والمراجع

1. آربري. ا. ج. 1946م. *المستشرقون البريطانيون*. تعريب محمد الدسوقي النويهي.لندن: وليم كولينز.
2. أوليرى.1961م. *الفكر العربي ومكانته في التاريخ*. ترجمة ،تمام حسين. القاهرة.
3. بارت.رودى .د.ت. *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية*. ت:مصطفى ماهر.القاهرة :دار الكتاب العربي.
4. البهي.محمد.د.ت. *المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام*. مجلة الأزهر.القاهرة: مطبعة الأزهر.

   -.1981م . *الفكر الإسلامي في تطوره*. القاهرة :مكتبة وهبة.

   -.1985م. *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي*. ط11.القاهرة: مكتبة وهبة.

   -.1981م. *الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة*، ،القاهرة :مكتبة وهبة.

   -.1982م ،*الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي*. ط6 .القاهرة: مكتبة وهبة.
5. جريشه. على .2007م . *الاتجاهات الفكرية المعاصرة*. ط 4.المنصورة: دار الوفاء.
6. زقزوق.محمود حمدي.2008م.*الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*.القاهرة:مكتبة الشروق الدولية.
7. سعيد .إدوارد . *الاستشراق* (المعرفة – السلطة – الإنشاء) .ط 2،ترجمة:كمال أبو الديب. بيروت.

   -. 1979م. *الاستشراق* .نيويورك : كتب عتيقة.

   -1981م . *الاستشراق*،ت:كمال ابوديب. بيروت: طبع مؤسسة الأبحاث العربية
8. سمايلوفيتش.أحمد،1998م.*فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر*،القاهرة: منشورات دار الفكر العربي
9. شاخت. جوزيف وكليفورد بوزورث. 1978م . *في تراث الإسلام*. الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية . ترجمة محمد زهير السمهوري. الكويت :سلسلة عالم المعرفة .
10. الشاهد. السيد محمد.1994م. *الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين*.مجلة في الاجتهاد (عدد 22) السنة السادسة . شتاء عام .
11. عبد الحميد. عرفان .د.ت. *المستشرقون والإسلام*. ط3 .بيروت: المكتب الإسلامي .
12. عريبي .محمد ياسين،1990م. *تأملات في بناء المجتمع الإسلامي*.ط2. طرابلس : منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

    -1991م . *مواقف ومقاصد في الفكر الإسلامي المقارن*.طرابلس:الدار العربية للكتاب.

    ‾1991م .*الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي*. الرباط :المجلس القومي للثقافة العربية.

13. العقيقي .نجيب. 1980 م . *المستشرقون*. ط 4 .ج3 . القاهرة : دار المعارف .

14. غراب. أحمد عبد الحميد .1411هـ. *رؤية إسلامية للاستشراق*. ط2.بير منجهام: المنتدى الإسلامي .

15. المطعنى .عبد العظيم إبراهيم محمد.1993م.*أوروبا في مواجهة الإسلام*. الوسائل والأهداف. القاهرة :مكتبة وهبة.